

الباب الثاني / الفصل الأول: الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر الصديق

وعامراً قد أسلموا، ثم خرج نحو مكة معتمراً في إمارة أبي بكر، ومر بجنات المدينة، فقيل لأبي بكر: هذا طليحة، فقال: ما أصنع به خلوا عنه فقد هداه الله للإسلام، ومضى طليحة نحو مكة فقتل عمرته⁽¹⁾. وقد ذكر البلاذري أن طليحة التحق بعد ذلك بقوات الفتح فساهم في حروب تحرير العراق في معارك القادسية ونهاوند وغيرها⁽²⁾.

جـ حركة مسيلمة الكذاب:

ينتمي مسيلمة بن حبيب إلى قبيلة بني حنيفة القوية، التي كانت تقيم في منطقة اليمامة في الأطراف الشرقية من هضبة نجد⁽³⁾. ويبدو أن زعماء هذه القبيلة قد أثار اهتمامهم مدى النجاح الذي حققه الرسول ﷺ في توحيد القبائل العربية حول قيادته استناداً إلى دعوته الدينية، فأرادوا مشاركته في نفوذه السياسي من دون أن يؤمنوا بالدعوة الإسلامية أو يستوعبوا قيمها الحقيقية، فقد ذكر أن الرسول ﷺ كتب بعد صلح الحديبية إلى هوزة بن علي الحنفي زعيم قبيلة حنيفة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه هوزة وفدًا ومعه رسالة إلى الرسول ﷺ يسأله فيها "أن يجعل الأمر له من بعده على أن يسلم ويصير إليه فينصره"⁽⁴⁾ (فرفض الرسول ﷺ طلبه. كما أشير إلى أنه كان في أعضاء الوفد مسيلمة الكذاب، فقال للرسول ﷺ: "إن شئت خلينا لك الأمر وبايعناك على أنه لنا بعدك، فقال له رسول الله ﷺ لا ولا نعمة عين، ولكن الله قاتلك"⁽⁵⁾).

زعيم قبيلة
حنيفة
هوزة
بن علي
الحنفي

الرجال
بن عنفوة

وقد أشارت المصادر إلى أن أحد أعضاء وفد بني حنيفة وهو الرجال بن عنفوة كان قد أسلم وقرأ سورة البقرة وسوراً من القرآن⁽⁶⁾. وذكر الطبري أنه "كان قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن، وفقه في الدين، فبعثه معلماً لأهل اليمامة" وليشغب على مسيلمة، وليشد من أمر المسلمين⁽⁷⁾، إلا أنه ارتد عن الإسلام وأيد مسيلمة في دعواه، "فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، شهد له أنه سمع محمداً ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه، فصدقوه واستجابوا له"⁽⁸⁾.

إن ما تقدم يثير الشكوك حول دوافع اعتناق الرجال بن عنفوة للإسلام، وهل هذه

الشكوك في دوافع اعتناق الرجال بن عنفوة

الإسلام (الرجال بن عنفوة)

هل كانت إسلامه هادئاً
أم غاية دراسة إسلام
واطلاعه على المسلمين

(1) المصدر نفسه، ج 3، ص 261.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص 105، 209.

(3) العلي: الدولة في عهد الرسول، ج 2، ص 531، 538.

(4) البلاذري: فتوح البلدان، ص 79.

(5) المصدر نفسه، ص 97.

(6) المصدر نفسه، ص 97.

(7) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 282.

(8) المصدر نفسه، ج 3، ص 282.

الباب الثاني / الفصل الأول: الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر الصديق

315

الدوافع كانت صادقة أم أنها خدعة مدبرة الغاية منها دراسة الإسلام والتظاهر بأنه قد صار من المسلمين كي يتمكن من الكيد بعد ذلك بصورة عميقة ومؤثرة للإسلام والمسلمين، وهو ما قام به فعلاً.

لقد قام مسيلمة بعد توطيد نفوذه في اليمامة بكتابة رسالة إلى الرسول، وذلك في آخر سنة عشرة للهجرة^(١)، أي قبل وفاته بأشهر قليلة، جاء فيها: "من مسيلمة معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون"^(٢). فكتب له رسول الله ﷺ ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"^(٣).

إن المعلومات المتوفرة لنا عن حياة مسيلمة الكذاب قبل ادعائه النبوة وبعدها لا تشير إلى أنه كان يمتلك من المؤهلات الروحية أو التجارب الفكرية ما يسوغ ولو بصورة ضعيفة إقدامه على مثل هذا الإدعاء الخطير. فقد ذكر الجاحظ أن طليحة الأسدي كان "خطيباً وشاعراً، وشجاعاً كاهناً ناسباً، وكان مسيلمة الكذاب، بعيداً عن ذلك كله"^(٤).

لقد كان المحرك الأساسي الذي دفع مسيلمة لادعاء النبوة هو الطموح السياسي والعصبية القبلية، وكانت العصبية القبلية هي العامل الذي دفع الكثير من أفراد قبيلة حنيفة لمناصرة مسيلمة على الرغم من معرفتهم بكذب مزاعمه. ذكر الطبري أن عمير بن طلحة النميري روى عن أبيه أنه جاء اليمامة، فقال: "إين مسيلمة؟ قالوا مه رسول الله!! فقال: لا، حتى أراه، فلما جاءه، قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك؟ قال: رحمن، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"^(٥).

لقد أوردت لنا المصادر بعضاً من أقوال مسيلمة التي حاول أن يقلد فيها أسلوب القرآن الكريم من حيث استخدام السجع في التعبير. إلا أن هذه الأقوال ضعيفة من

(١) ابن هشام: السيرة، ق ٢، ص 601.

(٢) المصدر نفسه، ق ٢، ص 600.

(٣) المصدر نفسه، ق ٢، ص 600 - 601.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص 259.

(٥) الطبري: تاريخ، ج 3، ص 286.

حدثت في جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والمرتب من

قرب الباب الامامي

مكتبة احمد بن حنبل وكتبه مسيلمة الكذاب بالشوة في وجهه بكرة
الهدية (اض) وانتهت المعركة بانتصار المسلمين ومقتل المرتدين
318 الباب الثاني / الفصل الأول: الخلافة الراشدة في عهد أبي بكر الصديق

وعلى رأسهم

مسيلمة

الكذاب

وسيرة

المعركة

حديقته

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

الموت

تمكنت قوات خالد بن الوليد من دحر جيش مسيلمة في معركة شهيرة عرفت بمعركة حديقة الموت لكثرة من قتل فيها من المرتدين وعلى رأسهم مسيلمة الكذاب نفسه. كما استشهد فيها عدد كبير من المسلمين اختلفت المصادر في تقديره⁽¹⁾، وكان أكثر التقديرات اعتدالاً يشير إلى أن قتل المسلمين كانوا حوالي أربعمئة وخمسين رجلاً منهم مائة وأربعون من المهاجرين والأنصار⁽²⁾.

إن انتصار المسلمين في معركة حديقة الموت على المرتدين من أتباع مسيلمة الكذاب، قد وضع حداً لحركات الردة في شبه الجزيرة العربية، وساعد في توحيد الأمة تحت قيادة خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من أهم أسباب نجاح المسلمين في مواجهة مخاطر الردة حزم وصلابه أبي بكر الصديق في اتخاذ القرارات لكثرت ووقوف عرب الحجاز من أهل مكة والمدينة والطائف وراء قيادته الحكيمة، بالإضافة قسماً إلى تفرق حركات الردة وعدم التنسيق فيما بينها وانكماش كل واحدة منها على نفسها ضمن سياسة دفاعية ضعيفة حتى تمت تصفيتها الواحدة تلو الأخرى. وإذا كان لا بد من الإشارة إلى دور بطل كانت له مساهمة متميزة في القضاء على حركات الردة في الميدان العسكري، فلا شك أن ذلك البطل كان خالد بن الوليد المخزومي الذي قاد أهم المعارك وأخطرها ضد المرتدين طوال السنة الأولى من خلافة أبي بكر الصديق.

3- البدء بتحرير العراق والشام:

يميل الباحثون المعاصرون إلى التساؤل عن الدوافع التي حملت أبا بكر الصديق رضي الله عنه على اتخاذ قرار المباشرة بحروب تحرير العراق والشام على الرغم مما فيها من

الفصل الثاني الخلافة الراشدة

في عهد عمر بن الخطاب

أولاً: توليه الخلافة:

تولى (عمر بن الخطاب) الخلافة في نفس اليوم الذي توفي فيه أبو بكر الصديق. وكان ذلك في 22 من شهر جمادي الآخرة، سنة 13هـ / 23 آب 634م. وقد أشير إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب قد قام في الناس خطيباً بعد الفراغ من دفن أبي بكر الصديق، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "أما بعد، فقد ابتليت بكم وابتليت بي، وخلفت فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة، فمن يحسن نزده حسناً، ومن يسيء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم" (1).

وبذلك يكون الخليفة (عمر بن الخطاب) قد حدد المعالم الأساس لمنهجه في الحكم بكلمات قليلة وحاسمة، وهي تنطوي على المبادئ الآتية:

1. إن مسؤولية الحكم في الدولة (الخلافة) هي ابتلاء واختبار للحاكم والمحكومين، فعلى الحاكم أن يقوم بواجباته بقوة وأمانة، وعلى المحكومين أن يؤديوا ما عليهم من واجبات "فمن يحسن نزده حسناً، ومن يسيء نعاقبه".
2. إن خلافة عمر بن الخطاب هي امتداد لعهد الرسول ﷺ في الحكم وعهد خليفته أبي بكر الصديق، ومن ثم فهو ملتزم بالأسس والمبادئ التي قام عليها الحكم في عهديهما.
3. يتحمل الخليفة مسؤولية حكم وإدارة من يعيشون في حضرته من الناس بصورة مباشرة، أما الذين يعيشون بعيداً عنه في المدن والأصهار فإنه مسؤول عن تعيين ولاية قادرين على إدارة شؤونهم بنفس الطريقة من أهل القوة والأمانة.
4. إن الخليفة ليس معصوماً من الخطأ والزلل شأنه شأن بقية الناس لذا فإنه يرجو من الله أن يغفر له ولهم ما قد يقترفونه من ذنوب وأخطاء.

الباب الثاني / الفصل الثاني: الخلافة الراشدة في عهد عمر بن الخطاب ؓ

ومن ثم، فلم تشهد هذه السنوات تغييرات واضحة في تنظيمات الدولة المالية والإدارية، واستمرت الحالة كما كانت قائمة في عهد الرسول ﷺ وخليفته أبي بكر الصديق ؓ.

يقول ابن سلام: "لما افتتح عمر العراق والشام وجبى الخراج جمع أصحاب النبي ﷺ فقال: إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله الذين افتتحوه، فقالوا: نعم الرأي رأيت يا أمير المؤمنين" (1).

وقد أشارت بعض المصادر إلى أن قرار الخليفة عمر بن الخطاب بفرض العطاء قد تم في سنة 17 هـ / 638 م في الجابية حينما اجتمع بقيادة جيشه وتشاور معهم في أمور البلاد المحررة وسبل معالجة القضايا والمشكلات التي بدأت تواجه الدولة أثر انتصار الجيوش الإسلامية في حروب التحرير (2).

ويلاحظ أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يتخذ قرار فرض العطاء واستحداث الديوان إلا بعد أن توافرت للدولة موارد مالية دائمة نتيجة فرض ضريبة الخراج على أراضي البلاد المحررة، لذا كان من الضروري أن تبدأ دراسة التنظيمات المالية للدولة بالحديث عن موارد الدولة ثم نعقبها بالكلام على نفقاتها وبخاصة العطاء والتنظيمات التي ارتبطت به كالديوان وغير ذلك.

أول خمس الغنائم التي

أول خمس الغنائم التي

فرضها
العطاء

١٧ هـ
٢٣٨ م